



MAISON
DU FUTUR

بيت المستقبل

أوراق سياسية
- رقم ١٤ -
تشرين الثاني ٢٠١٧

**إسرائيل والنزاع
السوري**
التحديات والفرص

جيفري أرونسون



Konrad
Adenauer
Stiftung

ملاحظة: إن مضمون هذه الورقة
لا يعكس بالضرورة الرأي الرسمي
لمؤسسة كونراد آديناور ومؤسسة
بيت المستقبل. وعليه، فإن مسؤولية
المعلومات والآراء الواردة فيها تقع
على عاتق الكاتب وحده.

إسرائيل والنزاع السوري

التحديات والفرص

بعد أكثر من ست سنوات، ومئات الآلاف من الضحايا وخسائر اقتصادية غير معلنة بلغت المليارات، بدأت المرحلة النهائية التي ستحدّد الدور المستقبلي لحزب الله وإيران في سوريا. يعمل الاتفاق الروسي-الإيراني-التركي على إنشاء بنية تحتية دبلوماسية وإقليمية وعملياتية، تهدف إلى تهميش وعزل الفصائل التي لا يمكن التوفيق بينها عسكرياً، وتوسيع دائرة جهود "المصالحة" وفعاليتها بين الأطراف السوريين المتنازعين من أجل تعزيز إعادة بناء الدولة وبسط سلطتها في جميع أنحاء البلاد.

المئة من الأراضي السورية^١. وقال وزير الأمن الإسرائيلي، أفيغدور ليبرمان، في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧: "لقد خرج الأسد من المعركة منتصراً، وبات الجميع يسعون فجأة إلى التقرب منه"^٢.

إن انتصار الأسد الذي لم ينجز بعد ليس مجرد انتصاراً شخصياً، إذ أنه أعاد تأكيد التوازن التاريخي للقوى داخل سوريا والذي أنشئ لأول مرة في الستينيات مع ظهور حزب البعث كلاعب أساس على الساحة السياسية السورية، مقابل مجموعة من المعارضين العلمانيين والقوميين والإسلاميين اللذين لم يكن لهم

في الأشهر الأخيرة من العام ٢٠١٧،

سيطرت قوات النظام والقوات

المتحالفة معها على أكثر من ٨٠ في

١ «الولايات المتحدة تحاكي مكافحة داعش في العراق مع

عبور الإرهابيين إلى سوريا - وزارة الدفاع»، روسيا اليوم، ١٠

تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، متوفر على الرابط الإلكتروني
<https://www.rt.com/news/406200-coalition-isis-fight-iraq/>

٢ «وزير الدفاع الإسرائيلي يقول إن الأسد انتصر في الحرب الأهلية»، تايمز أوف إسرائيل، ٣ تشرين الأول/أكتوبر

٢٠١٧، متوفر على الرابط الإلكتروني
<https://www.timesofisrael.com/defense-minister-says-syrias-assad-victorious-in-civil-war/>

تاريخيًا أيّ دورٍ مؤثّرٍ.

حتى اندلاع الحرب عام ٢٠١١، كانت سوريا الأسد عدوًا لدودًا ومتعنًا لإسرائيل. أمسك حافظ الأسد، وبعده خلفه وابنه بشار، مقاليد الحكم بقبضةٍ من حديد وأرسيا نظامًا سلطويًا لم ينازعهما عليه أحدٌ. هذه السلطة الشموليّة مهّدت للهجوم السوريّ المصريّ المشترك على إسرائيل في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣، لكنّها سمحت في الوقت

جاءت تكلفة هذا الإنجاز الأخير كبيرةً على سوريا وشعبها الذي عانى طويلًا. فالتحالفات التي خاض النظام الحرب عبرها قوّضت قدرة سوريا على تحديد مصيرها السياديّ، الأمر الذي لطالما سعى السوريون الوطنيّون إلى تحقيقه عبر رفع شعار "سوريا للسوريين".

عينه بتوقيع اتفاقية فك الاشتباك عام ١٩٧٤، الذي أقيمت بموجبها مناطق منزوعة السلاح على طول خط المواجهة في مرتفعات الجولان، وأفضت إلى نشر قوّات الأمم المتّحدة بقرارٍ دوليٍّ لمراقبة الامتثال لبنود الاتفاقية. ومنذ ذلك الحين، بقيت هذه الحدود التي أُرسيت بحكم الأمر الواقع أهدأ حدودٍ متنازع عليها مع إسرائيل. عزّزت هذه الترتيبات التفوّق العسكريّ الإسرائيليّ، كما سمحت لإسرائيل بتوطيد سلطتها على الجزء الذي تحتلّه من مرتفعات الجولان وذلك عبر برامج إنمائيّة وتسوياتٍ مع المدنيين. بحلول أواخر

إن خروج سوريا من الأزمة التي تمرّ بها سيّدة نفسها ومتحكّمةً بمصيرها لهو أمرٌ بالغ الأهميّة لجيرانها وخصوصًا لإسرائيل.

العلاقات الإسرائيلية السورية: الماضي والحاضر

إن مصلحة إسرائيل في زيادة مكاسبها والتقليل من التهديدات التي تستدعيها هذه المرحلة الجديدة من الأزمة السوريّة إلى حدها الأدنى، يسهل فهمها إذا ما وضعناها في سياق السياسات الثابتة والتقليديّة التي اعتمدها سوريا حيال إسرائيل على مدى العقود الأخيرة.

سوريا من افتعال أيّ مشكلةٍ تقليديّةٍ او استراتيجيةٍ تمكّنها وحلفائها من تغيير قواعد اللعبة لصالحهم من جانب واحد^٣.

خلال هذه الفترة، سعى حافظ الأسد أيضاً إلى تعويض ضعف سوريا الاستراتيجية عبر تعزيز علاقاته مع إيران وتسهيل علاقاتها العسكرية المتنامية مع حزب الله. كان النظام مصمماً على الحفاظ على "استقلاليّة القرار السوري"، بغضّ النظر عن مصالح الحلفاء أو الخصوم. فعلى الرغم من أن إيران وحزب الله كانا دون أدنى شك حلفاء سوريا، كان الأسد هو من يحدّد إطار أجندتهم المشتركة بشكلٍ ينسجم مع مصالح سوريا كما كان يراها.

وكانت إسرائيل مرتاحةً إلى تصميم دمشق على الحدّ من نفوذ كلّ من

الثمانينيات من القرن الماضي، فشلت جهود الأسد في تحقيق "نكافؤٍ استراتيجيٍّ" مع إسرائيل، وحافظت تل أبيب على سيادة جويّة مطلقة فوق سماء سوريا (ولبنان حيث كانت لسوريا اليد العليا) لأغراض استخباراتيّة وعملائيّة.

عزّزت هذه السياسة عقيدة إسرائيل الأمنية التي تتركز على فرض "قواعد اللعبة" يدرّكها جميع الأطراف دون أن تكون متفقاً عليها رسمياً، وتهدف في خطوةٍ استباقيةٍ إلى الحؤول دون السماح لسوريا وحلفائها في لبنان بتطوير قدراتهم العسكرية. إنّ الحدث الأبرز الذي يجسّد أكثر ما يجسّد هذه العقيدة، هو قيام إسرائيل بتدمير مرفق نوويّ قيد الإنشاء بالقرب من مدينة دير الزور السوريّة في أيلول/سبتمبر من العام ٢٠٠٧. أظهر هذا العمل بشكلٍ جليّ قبول سوريا (علماً أن رفضها لم يكن ليغيّر من السياسة الإسرائيليّة بشيء!) ليس فقط بالحدّ من تطوير قدراتها العسكريّة والإبقاء على التفوّق العسكريّ الإسرائيليّ، ولكن أيضاً بعزم إسرائيل على منع

٣ جودي أهري غروس، «إسرائيل تدقّر بطارية مضادّة

للطائرات في سوريا بعد إطلاقها النار على طائرات جيش

الدفاع الإسرائيليّ»، تايمز أوف إسرائيل، ١٦ تشرين الأول/

أكتوبر، ٢٠١٧، متوفّر على الرابط الإلكترونيّ

<https://www.timesofisrael.com/israel-destroys-anti-aircraft-battery-in-syria-after-it-fires-at-idf-jets/>

السعي الدؤوب لتحقيق هذا السلام. قبل الحرب الأهلية، كان نظام الأسد قويًا ولكن ليس بما فيه الكفاية لفرض إرادته على إسرائيل أو تحديها عسكريًا، أو ليتمكن من حكم البلاد دون أيّ معارضة. وفتح ضعفه هذا ثغرةً تمكن كلَّ من إيران وحزب الله من إختراقها لتوسيع نفوذهما، وإن لم يكن إلى درجةٍ تقوّض السيادة السورية أو تشكّل تحديًا لقواعد اللعبة يخرج عن قدرة إسرائيل (أو سوريا) على التصدي له.

لبي هذا الترتيب، على عيوبه، الحاجات الأساسية لتل أيب ودمشق، وجعل العلاقة بينهما خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين علاقةً متعددة الأوجه. وعلى الرغم من أنّ كلّ طرفٍ كان لديه ما يشكو منه، فإنّ أيًا منهما - كما حلفاء سوريا الحاليين في الحرب الدائرة- وجد أنّ مصالحه تقتضي التنصّل من هذه العلاقة، سواءً بالعمل الدبلوماسي أو بقوة السلاح.

بالنسبة إلى القضايا الرئيسية، اعتبرت

إيران وحزب الله على قراراتهما. وكانت سياستها تجاه محاولات النظام السوريّ تغيير الوضع الأمني الذي كان سائدًا ولا يزال، تستند إلى نفس مبدأ القمع العسكريّ عند انتهاك قواعد اللعبة الواضحة وغير المعلنة.

هذا الترتيب غير مستقر بطبيعته وأعجز عن وضع حدٍّ لتنامي قدرات حزب الله العسكريّة. ومع ذلك، فقد حافظ على تفوّق إسرائيل العسكريّ، ورسم خريطة طريقٍ للنزاع المستمر بين إسرائيل من جهة وسوريا وحزب الله وإيران من جهة أخرى، أرست لعقود الهدوء على حدود الجولان وأبقت هذا النزاع بعيدًا عن الحرب المباشرة.

تقاطع الصراع العسكريّ المستمر هذا مع جهودٍ دبلوماسيةٍ لإقامة سلام رسمي بين دمشق وتل أيب استمرّت عقودًا طويلةً، وانتهت مع اندلاع الحرب في سوريا عام ٢٠١١. ولم يمنع النزاع العسكريّ بين البلدين ولا ديكتاتورية آل الأسد والمؤسسة السياسيّة-الأمنيّة التي أقاموها، أيًا من الطرفين كما المجتمع الدوليّ ككل، من

إسرائيل أن الوضع الذي كان سائداً في السابق أفضل ما يمكن تحقيقه. وخلال المناقشات مع القادة الأميركيين والروس، أثار رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو احتمال الاعتراف بضمّ إسرائيل لهذه المناطق، خارج أيّ معاهدة سلام كما كان مطروحاً في السابق، علماً أنّ الطرف الذي تطالبه بهذا الاعتراف كما ببناء نظامٍ أمّنيٍّ لمرحلة ما بعد الحرب يحمي مصالحها، ليس دمشق بل موسكو وواشنطن.

تحديات الشرق الأوسط الجديد بالنسبة إلى إسرائيل

مع تخطيط إسرائيل اليوم لمرحلة ما بعد الحرب، كيف تظهر البيئة السوريّة الراهنة؟ في الواقع، خرجت سوريا من الحرب كحارٍ منتصر ولكنّه ضعيفٌ عسكرياً، تقودها حكومةٌ مركزيّةٌ منهكةٌ ومنشغلةٌ بفرض سلطتها على معارضيهما في الداخل، وعلى رأسها نظامٌ عاجزٌ عن التصديّ دوماً لمحاولات حلفائها كإيران وحزب الله تقويض صلاحياته السياديّة، وقيادةٌ مضطربةٌ مرغمةٌ على القبول بالوضع الجغرافيّ القائم في الجولان.

إثر اجتماع ضمّه إلى وزير الخارجية الأميركيّ جون كيري عام ٢٠١٦، قال نتياهو: "لقد حان الوقت لكي يعترف المجتمع الدوليّ بالواقع، ولا سيّما بحقيقتين أساسيتين: الأولى أنه مهما حصل خارج الحدود، فإن الحدود نفسها لن تتغيّر، والثانية أنه بعد خمسين عاماً، حان الوقت ليدرك المجتمع الدوليّ أنّ مرتفعات الجولان ستبقى إلى الأبد تحت سيادة إسرائيل".

أدى الضعف الاستراتيجيّ الذي أصاب سوريا بسبب الحرب إلى وضع إسرائيل أجندة دبلوماسية منقّحة، تهدف إلى الحفاظ على المكاسب

٤ مكتب رئيس الوزراء الإسرائيليّ، «ملاحظات رئيس الوزراء نتياهو في بداية اجتماع مجلس الوزراء الأسبوعيّ»، ١٧ أبريل ٢٠١٦، متوفّر على الرابط الإلكترونيّ <http://www.pmo.gov.il/English/MediaCenter/Spokesman/Pages/spokeStart170416.aspx>

فقدت سوريا أيّ قدرةٍ محدودةٍ كانت تمتلكها لخوض معركة استراتيجية مع إسرائيل في المستقبل المنظور على جميع الجبهات، ما يعني أنّ تفوق إسرائيل الاستراتيجية قد تعزز، ومهما تكن التحدّيات التي سيفرضها الواقع السوريّ الجديد بعد انتهاء الحرب، فإنّ كفة الميزان ترجح لصالح إسرائيل. بخلاف ما كانت عليه الأمور قبل اندلاع الحرب، تنازلت سوريا اليوم كما تنازل قبلها كلٌّ من مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية (باستثناء الحالات التي أفضت اتفاقات السلام إليها) عن خيار شنّ حربٍ على إسرائيل أو إجبارها على إعادة ما تبقى من الأراضي التي وضعت يدها عليها بعد حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧.

وتفيد التقارير أن موقف إسرائيل من الحرب الأهلية السورية يحاكي موقف مناحيم بيغن أول ما علم بالهجوم العراقيّ على إيران، إذ نُقل عنه قوله: ”أتمنى لهما - في الحالة السورية النظام والمعارضة - حظًا سعيدًا“.

لم يقتصر نعي الأسد على المسؤولين الأمنيين الإسرائيليين البارزين. ومع ذلك، لم يكن المجتمع الأمميّ والاستخباراتيّ الإسرائيليّ متحمسًا أو مهتمًا بنجاح الثورة ضدّ النظام الحاكم في سوريا كما كانت حال حلفاء إسرائيل في الغرب. فبخلافهم، لم تتعاطف إسرائيل مع المعارضة، ولأنها محصّنة بمعرفة عميقة للتاريخ السوريّ، لم تؤمن بقدرة المعارضة على احراز نصرٍ لا على فصائلها الإسلامية والجهادية ولا على النظام نفسه. لم تعتقد إسرائيل يومًا أن المعارضة قادرة على الإطاحة بالأسد، وفضّلت اتخاذ موقفٍ استغلاليّ على اتخاذ موقفٍ مبدئيّ، يهدف إلى ردع محور المقاومة من الانتشار جنوب درعا وإبعاد الأذى عنها. في المقابل، لم تعر تنظيم الدولة الإسلامية

٥ أكيفا إدار، «المسؤولية الأخلاقية الإسرائيلية في سوريا»، المونيتور، ٦ أيار/مايو ٢٠١٣، متوفّر على الرابط الإلكتروني <https://www.al-monitor.com/pulse/fr/originals/2013/05/israel-is-too-silent-on-syrian-tragedies.html>

التحدّي الأكثر خطورة في مرحلة ما بعد الحرب على حرّية إسرائيل في العمل، ليس في سوريا فحسب، بل أيضا على الجبهة الشماليّة بأكملها من الناقورة حتى نهر اليرموك.

أظهرت الحرب السوريّة وما أعقبها مدى ارتباط السياسات الإسرائيليّة تجاه دمشق بمبدأ ”العمليّات ما بين الحروب“ ضدّ حزب الله من جهة، والحاجة الأساسيّة إلى التنسيق مع روسيا من جهة أخرى من أجل الحفاظ على حرّية إسرائيل في العمل لمواجهة أيّ انتهاكٍ لقواعد اللعبة من قبل سوريا وحلفائها.

تعتبر إسرائيل أنّ ”العمليّات ما بين الحروب“ التي نفّذتها ضدّ حزب الله والأهداف الإيرانيّة في سوريا في خلال السنوات الأخيرة، هي استراتيجيّة ناجحةٌ للتصدّي للتحديات العسكريّة الراهنة من جانب سوريا وإيران وحزب الله. غير أنّها تعكس ضبابية المعضلة الاستراتيجية التي تواجهها إسرائيل وارتباطها الحميم بسياسة الردع. فهي تفترض أنه لا

(داعش) الأهميّة نفسها ولم يشكل مصدر قلقٍ لها معتبرةً أنه وقدراته جزءٌ من المعارضة.

كما في السابق، تعتبر إسرائيل اليوم أن مخاوفها في سوريا ما بعد الحرب تدور حول قوّة حزب الله وإيران فضلاً عن القوّة الجويّة الروسيّة وأنظمة دفاعها الجويّة التي تغطّي سوريا والمناطق المحيطة بها. أخطر ما قد يحصل بالنسبة إلى إسرائيل هو أن تفرز الحرب عن بيئةٍ سوريّة يتمتع فيها كلٌّ من إيران وحزب الله بجرّية تعزيز قوتهم العسكريّة ضدّ إسرائيل، وسط ضعف دمشق وعدم مبالاة روسيا أو تواطئها. هذا السيناريو يهدّد بتقويض نظام الردع الذي اعتمده إسرائيل تجاه سوريا، والذي نجح حتى الآن في الحدّ من الأعمال القتالية على الحدود وأبقى على نشاط ما يُعرف بـ ”العمليّات ما بين الحروب“ في حدّه الأدنى. إن الانتشار العدائيّ لقوّة تابعة لإيران وحزب الله قد يدفع إسرائيل إلى الانخراط في ما تعتبره وخصومها حرباً لا رابح ولا خاسر فيها، ويشكّل

في حين أننا ندرك في الوقت عينه أن مفهوم الردع هو مفهوم ضبابي وينطوي على مخاطر^٦.

اعتمدت إسرائيل في تصديها للتحديات التي تواجهها في سوريا اليوم استراتيجيّة ذات شقين. يهدف الشقّ الأول منها إلى الحفاظ على قوّة الردع والحدّ من تأثير وجود حزب الله وإيران في سوريا من خلال إنفاذها الصارم للخطوط الحمراء الواضحة، وشنّ حملةٍ دوليّةٍ تسلّط الضوء على عمليّاتهما المشبوهة في سوريا ولبنان وتطالب بمحاسبتهما عليها. أمّا الشقّ الثاني، فيهدف إلى كسب رضا الروس، إن لم يكن دعمهم، والتفاهم معهم حول الإجراءات العسكريّة والاستخباراتيّة التي تتخذها لتحقيق الهدف الأول.

لا بدّ من التذكير هنا أن الولايات المتّحدة بصفتها حليفة إسرائيل

يوجد حالة حربٍ كاملة ولا حالة سلامٍ كاملةٍ مع أعداء إسرائيل، إنما سلسلة من العمليّات العسكريّة التي تهدف إلى إنفاذ "قواعد اللعبة"، بما يعيق، إن لم يكن يردع، تعزيز قدرات حزب الله العسكريّة خصوصًا لجهة اقتناء الصواريخ ودقتها، والحدّ من توسع إيران الاستراتيجي.

"إن عمليّاتنا ما بين الحروب لم تؤدّ إلى تصعيدٍ لأنّ أعدائنا يدركون أنّنا نستهدف القدرات التي يجب استهدافها. إنّنا ننقذ شتّى أنواع العمليّات، وبعضها عنيف، ولا يخرج إلى العلن سوى القليل منها"، كما أوضح مؤخرًا رئيس أركان الجيش الإسرائيليّ، اللواء غادي إيزنكوت. وأضاف: "أدت هذه العمليّات في نهاية المطاف إلى تحقيق إنجازات عدّة. إنّنا نتمتّع بتفوقٍ استخباراتيّ وتفوقٍ جويّ يمنحنا الجيش الإسرائيليّ قدرة ردع كبيرة. في الواقع، إن تنفيذنا مئات الهجمات في عدّة أنواع من العمليّات وعدم مواجهتها بأيّ ردّ انتقاميّ، يُظهر قوّة الردع الكبيرة التي يتمتّع بها جيش الدفاع الإسرائيليّ،

٦ يوف زيتون، أتيل سومغالفي وجيلو ران، «مئات الضربات دون ردّ انتقامي واحد، في دلالة على حجم قوّة ردع جيش الدفاع الإسرائيليّ»، بيت نيوز، ٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، متوفّر على الرابط الإلكتروني <https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-5025234,00.html>

وداعمتهما التقليديّة، قد وضعت نفسها وفعاليتها خارج المعادلة السوريّة^٧. إن التطرّق إلى هذا التطور الاستثنائي لا يدخل ضمن نطاق هذه الورقة.

أوضح تقريرٌ موثوقٌ حول مصالح إسرائيل في مرحلة ما بعد الحرب السوريّة، أن "إسرائيل ستطلب من الروس الحؤول دون إنشاء قواعد إيرانيّة في سوريا ومنع إعادة تشغيل منشأة لإنتاج الصواريخ فيها، كانت منذ أسابيع عدّة قد تعرّضت لقصفٍ بقي مصدره غامضاً. وستطلب إسرائيل أيضاً من الروس ضمان أن يشير اتفاق الحل النهائي في سوريا إلى العودة لاتفاقيّة فك الاشتباك في مرتفعات الجولان التي أبرمت عام ١٩٧٤. تنصّ هذه الاتفاقية على جعل شريطٍ حدوديٍّ بطول خمسة كيلومترات منطقةً منزوعة السلاح،

وتخفيف عدد القوات في الجانب السوري. وستطلب إسرائيل كذلك يجعل طريق درعا-دمشق خطاً يمنع بعده أيّ وجود أو عبور إيرانيّ باتجاه الغرب"^٨.

إنّ تلبية هذه المطالب المتجدّرة في الترتيب الذي كان قائماً قبل الحرب، سيُعتبر إنجازاً دبلوماسياً حقيقياً يجسّد جهود إسرائيل الناجحة في إعادة بناء العناصر المركزيّة التي أسّست لنظام العلاقات والانتشار الذي صبّ في مصلحتها، وأبقى جبهة الجولان هادئةً قرابة خمسة عقود.

وعلى الرغم من شرعيّة المخاوف الإسرائيليّة بشأن اضطلاع إيران وحزب الله بدور قياديّ في توسيع "الجبهة الشرقيّة" ضدها لتشمل سوريا، هناك أربعة أمورٍ رئيسة تلعب باتجاه استعادة الاستقرار المفقود:

أولاً: يدخل ضمناً في مطلب إسرائيل

٨ أليكس فيشمان، «الصراع الإسرائيليّ الإيراني في سوريا يصل إلى نقطة اللا عودة»، نيت نيوز، ٨ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، متوقّف على الرابط الإلكترونيّ <https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-5025800,00.html>

٧ جيفري أونسون، «واشنطن تحوّلت إلى موقع المتفرّج في الحادّثات السوريّة»، ذي أميركان كونسرفاتيف، ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧، متوقّف على الرابط الإلكترونيّ <http://www.theamericanconservative.com/articles/washington-relegated-to-bystander-status-in-syria-talks/>

مقدمتها كبح أيّ نوايا لحزب الله وإيران في إنشاء قواعد دائمة بهدف فتح جبهة أخرى في الجولان. في خطابٍ متلفز ألقاه يوم ٢٠ آب/ أغسطس من العام ٢٠١٧، أكد الأسد أنّ لا شيء سيغيّر على هذا الصعيد إذ قال:

”كل ما يتعلّق بمصير سوريا ومستقبلها هو رهنٌ بقرار السوريين ١٠٠ في المئة، ليس ٩٩ في المئة وكسور بل ١٠٠ في المئة، وقد تبني أصدقائنا هذا الخيار بوضوح. سنبقى منفتحين لتلقي النصائح من حيث تأتي، لكنّ القرار النهائي سيكون قرارًا سوريًا خالصًا“. إن هذه الرؤية تبعث على الطمأنينة وسط الأوضاع الراهنة التي تمرّ بها منطقة الشرق الأوسط.

ثالثًا: فقد الأسد جزءًا كبيرًا من

إعادة تشكيل العناصر المركزيّة التي أسست للوضع الذي كان سائدًا في السابق، الاعتراف بضرورة وجود سلطةٍ مركزيّةٍ قويّةٍ في دمشق، قدرة على الحدّ من طموحات إيران وحزب الله والمحافظة على السلام في مرتفعات الجولان، وقيادة أيضًا على إنفاذ إرادتها في جميع أنحاء البلاد. هذا الهدف يتبناه أيضًا كلٌّ من النظام السوري وروسيا، اللذين يعتبران أنّ من مصلحتيهما إعادة بناء الدولة السوريّة داخل حدودها المعترف بها وإعادة تأكيد سلطة الدولة في جميع أنحاء البلاد.

ثانيًا: إنّ تقويض الجهود التي بُذلت منذ عقود للحفاظ على استقلاليّة القرار السوريّ وسيادته، دفع بالأسد إلى التخلّي عن جزءٍ كبيرٍ من صلاحياته لصالح حلفائه السابقين في الحرب التي خاضها. ومع ذلك، فهو يشارك إسرائيل رغبتها في كبح نفوذهم داخل بلده عندما تسكت البنادق ولو نسبيًا. حتى الآن، لم يخطئ الأسد في إدراك مدى تمسك إسرائيل بإنفاذ قواعد اللعبة، وفي

٩ «خطاب الرئيس السوريّ بشار الأسد في ٢٠ آب/

أغسطس ٢٠١٧ أمام السلك الدبلوماسيّ السوريّ»،

أليثو نيوز، ٢١ آب/أغسطس ٢٠١٧، متوفّر على الرابط

<https://alethonews.wordpress.com/2017/08/28/speech-by-the-president-of-the-syrian-arab-republic-bashar-al-assad-on-august-20th-2017-to-the-syrian-diplomatic-corps>

المعمول به. لم يحاول حزب الله ولا إيران نشر قوّاتٍ على طول حدود الجولان بأعدادٍ كبيرةٍ أو دائمةٍ بما يشكّل استفزازاً يسترعي التصدي له. فحتى الآن، لم يُكشف عن إنشاء أيّ هيكلٍ لكتائب قتاليةٍ أو قوّاتٍ أقلّ من ذلك أو حتى يُزعم أنّ هيكلًا كهذا هو قيد الإنشاء. خلال الحرب، احتل الجانب السوريّ من الجولان موقعًا هامشيًا في سُلّم مخاوف كلّ الأطراف، ويعود ذلك بدرجةٍ كبيرةٍ إلى قوة الردع الناتجة عن الوجود الإسرائيليّ. بشكلٍ عام، بقيت جبهة الجولان الجبهة الأهدأ في جميع أنحاء البلاد، على الرغم من فشل قوّات الأمم المتّحدة بمراقبة إنفاذ اتفافية فكّ الاشتباك وانسحابها. أعريت إسرائيل بشكلًا لا لبس فيه عن معارضتها لأيّ انتشارٍ ”لمحور المقاومة“ على طول حدود الجولان في مرحلة ما بعد الحرب، ويبدو أنّ رسالتها قد وصلت.

استقلالية القرار والسيادة، ومع ذلك، من غير المرجح أن يعمد بعد انتصاره إلى منح أيّ طرفٍ كان حقّ شنّ حربٍ على إسرائيل من الأراضي السورية، أو حتى القيام بأعمالٍ استفزازيةٍ بذلت جهودًا كبيرةً لتجنبها مدة نصف قرنٍ تقريبًا. ويشمل ذلك تمكين حزب الله وإيران من فتح جبهة الجولان أو السماح لهما بإنشاء بنيةٍ تحتيةٍ لإنتاج الأسلحة أو نقلها تنتهك انتهائيًا خطيرًا ”قواعد اللعبة“.

رابعًا: لدى روسيا أسبابٌ كثيرةٌ للعمل بشراسة من أجل الحفاظ على النظام في سوريا، لا يدخل بينها تمكين إيران أو حزب الله من زجّها ودمشق في حربٍ ضدّ إسرائيل.

في كلا المجالين، أي الحفاظ على النظام وعدم شنّ حربٍ على إسرائيل، التزم معارضو إسرائيل حتى الآن بحدود الانتشار المسموح بها. ومع ذلك، تخضع قواعد اللعبة لامتحانٍ دائمٍ لا سيّما مع سعي حزب الله لامتلاك أسلحةٍ أكثر قوّة، لكنّ ذلك يبقى ضمن المخاطر المرتقبة للترتيب

هو أمرٌ غير مؤكّد ويحترمان قواعد اللعبة التي تمّ التوصل إليها بشقّ الأنفس.

قال إيزنكوت: ”إنّ الوضع السائد حاليًا تأسّس في أعقاب حرب لبنان الثانية [٢٠٠٦]، التي ثقت فيها الهجمات [الإسرائيلية] في لبنان ردًا على بعض الحوادث ليس إلا“. واضاف: ”إنّ الهدوء الأمنيّ ساد جانبيّ الحدود، والتحدّي الذي يواجهنا اليوم هو منع نشوء أيّ تهديدٍ استراتيجيٍّ بالغ الخطورة كمثل نشر أسلحةٍ موجّهةٍ بدقة، وفي الوقت عينه المحافظة على الهدوء الأمنيّ المستمرّ منذ ١١ عامًا، والذي يصبّ في مصلحة السكان على جانبيّ الحدود“.

ومع ذلك، لا يزال التوازن في الجنوب هشًا بجوهره. في الواقع، على الرغم

الجنوب اللبناني: تريث ننتياهو ونصر الله المفيد

مع وصول الأزمة السوريّة إلى مراحلها الأخيرة، يصبّ كل من رئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين ننتياهو وقائد حزب الله حسن نصر الله اهتمامهما في جنوب لبنان. وتجدد الإشارة إلى أنّ جهودهما تلك ليست مدفوعةً برغبةٍ في حربٍ حدوديّةٍ جديدة، بل برغبة تحسين مواقعهما في مرحلة ما بعد الحرب السوريّة.

منذ عام ٢٠٠٦، زاد حزب الله اللبناني من قدرته الصاروخية الهجومية بمستويات عدّة، في حين واصلت إسرائيل تحديث ترسانتها وبذلت جهودًا واسعة النطاق لبناء دفاعاتٍ حدوديّةٍ. إن الترتيب الأمنيّ الذي فرضه قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ يعبر بدقة عن رغبات جميع الأطراف في الحفاظ على السلام، مهما بدا الأمر صعبًا. فإسرائيل وحزب الله يعيان تداعيات اندلاع حربٍ أخرى على هذه الساحة وتكلفتها، ويدركان أن انتصار أيّ منهما انتصارًا مطلقًا

١٠ يواف زيتون، أتيلا سومفالفني وجيدو ران، «مفات الضربات دون ردّ انتقاميّ واحد في دلالة على حجم قوّة ردع جيش الدفاع الإسرائيليّ»، بنيت نيوز، ٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، متوفّر على الرابط <https://www.ynetnews.com/الإلكتروني/articles/0,7340,L-5025234,00.html>

لصالح الجيش الإسرائيلي". ومع ذلك، فإن رفع إسرائيل لمسألة خطورة انتشار حزب الله الواسع في لبنان أمام الأمم المتحدة وهيئات أخرى، يُمكنها من زيادة مستوى الاهتمام الدولي الحيوي بهذا الملف على أمل الحؤول دون تمكين حزب الله من تعزيز قدراته العملائية في سوريا^{١١}.

إيران وروسيا في سوريا

يمثل حجم الوجود العسكري الإيراني المتنامي في سوريا إلى جانب القوة الجوية والبحرية الروسية هناك، الخطرين الاستراتيجيين اللذين ستواجههما إسرائيل في فترة ما بعد الحرب. أبدأت إيران بالفعل اهتمامًا واضحًا في اختبار حجم المعارضة الإسرائيلية لنشر قوات معادية متحالفة مع طهران على طول حدود الجولان. تشكل هذه الاستراتيجية جانبًا واحدًا من الجهود التي تبذلها إيران للاستفادة من موقفها في سوريا ككل في فترة ما بعد الحرب، بهدف تحسين قدراتها ضد إسرائيل. ففي

من الهدنة التي أعقبت حرب عام ٢٠٠٦، فإن كلا الطرفين على يقين من أنه لا مفرّ من حرب مستقبلية. اليوم، يستفيد كل طرف من الهدوء السائد في الجنوب لتحسين مواقعه على ساحة المواجهة الجديدة، أي الساحة السورية. فحزب الله يرى أن لديه فرصة لتحقيق مكسب في سوريا ما بعد الحرب، أقله لجهة توسيع رقعة دفاعاته عبر توسيع "جبهة المقاومة" من شرق شبعا حتى الحدود الأردنية. فهو يعتبر أن سيطرته على هذه الرقعة ستشكل من جهة رادعًا لإسرائيل، ومن جهة أخرى منصةً لمواجهتها في الحرب المقبلة. إلا أنّ حزب الله لم يتمكّن حتى الآن من توطيد وجود مؤثر له في أيّ مكان قريب من حدود الجولان، بسبب استمرار انشغاله في أمورٍ أكثر أهمية في مناطق أخرى. وأوضح إيزنكوت أن "حزب الله هو العدو الذي نشعرنا حاليًا بالقلق أكثر من أيّ عدوٍ آخر حولنا". وتابع: "لكنّ كفة التوازن الاستراتيجي تميل

١١ المرجع السابق

السورية الإسرائيليّة كما تراها إسرائيل،
أضاف: ”إن إسرائيل تهاجم من
يهاجمها. ولن نسمح لإيران بنقل
أسلحة فتاكّة إلى حزب الله عبر
الأراضي السوريّة، أو على الأقل
سنقوم بكل ما في وسعنا لمنع ذلك؛
لن نسمح لإيران بفتح جبهة ارهايية
اضافيّة ضدنا في الجولان“^{١٤}.

بالنسبة لإسرائيل، فإن إيران وحزب
الله هما وجهين متكاملين لعدو واحد،
ومع ذلك، في حين تتركز مخاوف
إسرائيل من حزب الله فقط حول
قدراته العسكريّة، فهي تعتبر إيران
تهديداً استراتيجياً وتُنظر إلى اهتمامها
بإنشاء منشآت إنتاج بحرية وعسكرية
في سوريا عبر هذه العدسة. ويؤكد
إيزنكوت أن ”إيران تعتبر نفسها قوّة
إقليميّة. ثمة ١٧ ألف مقاتلاً في سوريا
يعملون اليوم تحت إشراف إيران،
منهم ٧٠٠٠ مقاتل من حزب الله و
٩٠٠٠ من رجال الميليشيات الشيعيّة

آذار/مارس ٢٠١٧، على سبيل
المثال، أعلنت حركة النجباء، وهي
جماعة عراقية شيعية شبه عسكرية
ذات صلات عملائيّة مع حزب
الله وإيران، عن تشكيل ”لواء تحرير
الجولان“. وتعدّ حركة النجباء من
أول التنظيمات العراقيّة شبه العسكريّة
التي أرسلت عام ٢٠١٣ مقاتلين إلى
سوريا بإيعازٍ من إيران، وانتشروا
بشكل رئيسي في منطقة حلب^{١٥}.

وكان نتيها هو قد حدّر من أنّه ”مع
أو دون اتفاق حلّ للأزمة السوريّة،
ستحاول إيران التأسيس لوجود
عسكريّ دائم لها في سوريا سواءً في
البرّ أو البحر“^{١٦}. ومع عدم تفويت
نتيها هو لأيّ فرصة لإعادة التذكير
بقواعد اللعبة التي تحدّد العلاقات

١٢ أمير توماج، «الميليشيات العراقية الخاضعة لسيطرة الحرس
الثوري الإيراني» لواء تحرير الجولان، «مجلة الحرب الطويلة»، ١٢
آذار/مارس ٢٠١٧، متوفّر على الرابط الإلكتروني
<https://www.longwarjournal.org/archives/2017/03/irgc-controlled-iraqi-militia-forms-golan-liberation-brigade.php>

١٣ جيفري أرونسون، «روسيا وإسرائيل وإيران يستعدون
لإنهاء المبارزة في سوريا»، الجزيرة، ١٧ آذار/مارس
٢٠١٧، متوفّر على الرابط الإلكتروني
<http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/2017/03/russia-israel-iran-braced-endgame-syria-170316080152634.html>

١٤ جيفري أرونسون، «نتيها هو إلى بوتين: إنقاء إيران بعيداً
عن الجولان»، معهد الشرق الأوسط، ١٤ مارس ٢٠١٧،
متوفّر على الرابط الإلكتروني
<http://www.mei.edu/content/article/netanyahu-putin-keep-iran-away-golan>

و ٢٠١٥ وما يرتبط بها من إنشاءٍ لنظام دفاع جويٍّ فعّالٍ، يعدّ أهم التطورات التي نتجت عن الحرب السورية. أربكت خطوة روسيا هذه القوّة الأميركية وهشمتها، وشكّلت بالنسبة إلى إسرائيل العائق الأكبر في الجهود التي تبذلها للتضييق على أعدائها في سوريا والحدّ من قوّتهم. حتى وقتٍ قريبٍ، كانت إسرائيل تنظر إلى نشر قوّة جويّة روسيّة في سوريا وما يستتبعها من تركيب لنظام دفاع جويٍّ من من طراز S400 على أنّه تهديدٌ استراتيجيٌّ وتقييدٌ لحريّة حركتها لا يمكن القبول به. جاء التدخّل الروسيّ في سوريا بمثابة كابوسٍ لإسرائيل، إذ قد يُفقدُها حرية العمل أمام القوّة الجويّة الروسيّة الصلبة والدفاعات التي توفرها لحماية الانتشار الكامل لجيش "قوّات محور المقاومة" على طول الحدود المشتركة. وبالتالي، ليس من المستغرب أن يكون التفاهم مع موسكو على قمة جدول أعمال نتنياهو منذ أن دخلت روسيا إلى ساحة المعركة.

كان التحديّ الأكبر بالنسبة

و ١٠٠٠-٢٠٠٠ إيرانيّ، وتوسّع طهران إلى زيادة هذا العديد. يتمركز عددٌ قليلٌ من هذه القوّات بالقرب من حدودنا، وابتشر معظمهم في شمال غرب سوريا ووسطها وشرقها. نعمل على مسارات عدّة للحؤول دون تمكين إيران من تثبيت وجودٍ لها في محيط ٣٠-٤٠ كيلومتراً من الحدود، كما نسعى عبر عددٍ من القنوات إلى الحدّ من قدرات دقة الصاروخ التي تحاول إيران توفيرها لأعدائنا، حزب الله وحماس. هدفنا هو الوصول إلى نقطة ينتفي معها النفوذ الإيراني في سوريا، ونقوم بذلك بجهدٍ عسكريٍّ ودبلوماسيٍّ مشتركٍ^{١٥}.

هل مقدّرٌ لروسيا أن تفشل؟ لا... ليس بالضرورة

إن دخول القوّة الجويّة الروسيّة إلى المشهد السوريّ بعد أيلول/سبتمبر

١٥ يواف زيتون، أتيليا سومفالفني وجيلدو ران، «مئات الضحايا دون ردّ انتقاميٍّ واحد في دلالة على حجم قوّة ردة جيش الدفاع الإسرائيليّ»، نيت نيوز، ٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٧، متوفّر على الرابط الإلكترونيّ <https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-5025234,00.html>

والسوريّة والإسرائيليّة كفيّة تقاسم المجال الجويّ المزدهم بطريقة تمكّن كلّ منها من استعراض قوّته وتحقيق مصالحه الخاصة. لم تعترض إسرائيل على الحملة الجويّة التي شنّتها وتشنّها روسيا ضدّ خصوم الأسد على اختلافهم، ومن جانبها، استنكفت روسيا عن تشجيع جهود حلفائها أبان الحرب لبناء منظومة عسكريّة معادية لإسرائيل على طول حدود الجولان؛ اكتفت روسيا بدور المشاهد أمام مواصلة إسرائيل التصدّي بقوة لانتهاكات سوريا لقواعد اللعبة، ومحاولاتها الحثيثة للحؤول دون نقل أسلحة متطورة من سوريا وإيران إلى حزب الله.

وعلى الرغم من إقامة روسيا علاقاتٍ عملائيةٍ وطيدةٍ مع حزب الله وإيران، لم تشتمل سياستها هذه تأييد وضع استراتيجيّة إقليميةٍ قتاليّةٍ ضدّ إسرائيل في الجولان أو في أيّ مكانٍ آخر. لم تظهر موسكو ولا دمشق أيضًا، أيّ اهتمامٍ بتمكين حلفائهما في زمن الحرب من إنشاء بنيّةٍ تحتيّةٍ عسكريّةٍ في الجولان، تسمح لهم بزحّهما في

لإسرائيل وموسكو والذي واجهه كلّ من تنياهو وبوتين منذ التدخل الروسيّ هو "تزامن الساعات"، عبر التأسيس لمنظومة علاقاتٍ جديدةٍ دبلوماسيةٍ وعمليّةٍ في الوقت عينه، تلبي حاجات الطرفين. وعلى الرغم من أن جهودهما لم تخلو من العراقيل، فقد تمكنا من تحقيق ذلك، على الأقلّ حتى الآن.

إن احتمال قيام روسيا بتقييد سياسة إسرائيل الأساسية في إنفاذ "قواعد اللعبة"، يُشكل خطرًا حقيقيًا على مصداقية الاستراتيجية الإسرائيليّة. لكنّ موقع موسكو البارز في سوريا اليوم، يتيح أيضًا لإسرائيل فرص كسب دعمها لتحقيق المصالح ذاتها.

إن سجلّ العلاقات بين الطرفين خلال الحرب السوريّة، يؤشر وبشكلٍ جليّ إلى أنّ موسكو اختارت منذ العام ٢٠١٥ عدم عرقلة انتهاج إسرائيل لاستراتيجيتها التقليديّة في سوريا، على الرغم من قدرتها على ذلك.

وقد تعلّمت الطائرات الروسيّة

إيران، بتدمير دولة اليهود^{١٧}، جاء ردّ بوتين جافاً إذ قال إن الأحداث التي يصفها ننتياهو وقعت ”في القرن الخامس قبل الميلاد، ونحن نعيش اليوم في عالم مختلف. دعونا نتحدث عن ذلك الآن^{١٨}“.

من جانبها، لا تُسعى إسرائيل إلى إلزام نفسها باتفاق تفاهمٍ رسميٍّ تعقده مع موسكو، كما ليس بنيتهاً تأييد أيّ تفاهماتٍ أو حلولٍ وليدة جهود موسكو وحلفائها في ”محور المقاومة“. فمصلحة إسرائيل هي في العمل ضمن ساحةٍ يسودها الغموض بسبب غياب اتفاقٍ شاملٍ، وما يهّم ننتياهو فعلياً هو أن تبقى موسكو بعيدةً عن طريق إسرائيل.

ومع ذلك، يبدو من الصعب على موسكو الحفاظ على التوازن الذي تعمل على إرسائه بين المصالح المتنافسة على الساحة السوريّة. فمع

حربٍ ضد إسرائيل^{١٦}. على العكس من ذلك، لطالما أثنى بوتين على ”آلية التعاون الفعّالة“ التي نسجتها بلاده مع إسرائيل، مدركاً أن منح إيران وحزب الله القدرة على تنفيذ سياساتٍ معاديةٍ لها في سوريا بشكلٍ مستقل عن موسكو أو دمشق، سيضرب قلب النظام الذي يعمل على بنائه هناك بعزمٍ كبير.

إن مشهديّة التعاون الثنائي هذه لا تلغي احتمال فشل جهود ننتياهو الرامية إلى كسب ضماناتٍ روسيّةٍ لا لبس فيها لتقييد إيران ووكلائها، إذ غالباً ما رفض بوتين تحذيرات ننتياهو المأساويّة حول الخطر الإيرانيّ. فعلى سبيل المثال، عندما حدّر ننتياهو من أن ”اليوم يشهد محاولةً لوريثة الامبراطويّة الفارسيّة،

١٧ «بوتين يرفض دراماتيكيّة ننتياهو، وينصحه بوقف

العودة إلى الماضي»، تايمز أوف إسرائيل، ١٠ آذار/مارس

٢٠١٧، متوقّف على الرابط الإلكتروني: <https://www.timesofisrael.com/rejecting-purim-spiel-putin-tells-netanyahu-to-stop-dwelling-on-/past>

١٨ المرجع السابق

١٦ جيفري أرونسون، «روسيا وإسرائيل وإيران يستعدون

لإنهاء المبارزة في سوريا»، الجزيرة، ١٧ آذار/مارس

٢٠١٧، متوقّف على الرابط الإلكتروني: <http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/2017/03/russia-israel-iran-braced-endgame-syria-170316080152634.html>

جيفري أرونسون

جيفري أرونسون هو رئيس مجلس الإدارة و المؤسس المشارك لمجموعة مورتونز، وباحث غير مقيم في معهد الشرق الأوسط في واشنطن العاصمة منذ أكثر من أربعة عقود. انخرط كمعلق ومشارك في قضايا سياسية وأمنية رئيسة في الشرق الأوسط.

تراجع القتال، بدأت روسيا بتوطيد دورها كحكيم بين حلفائها في الحرب وأعدائهم، ما من شأنه أن يقدم مبرراً مقنعاً لاستمرار نفوذها في سوريا. لكن الاضطلاع بهذا الدور دونه سعر كبير سيتوجب على روسيا دفعه: إذا كان بوتين قد استطاع حتى الآن احتواء تناقضات السياسة التي تستوعب إسرائيل وأعدائها في آن واحد، فإن هذا التوازن قد يثبت عدم جدواه في المرحلة التالية من نضالها لكسب نفوذ في سوريا.